مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (34) العدد (2)2012
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (34) No. (2) 2013

التّرجمة وأثرها في إحياء اللّغة العربيّة

الدّكتور محمّد خير الفوّال*
خديجة رخاميّة**

(تاريخ الإيداع 4 / 1 / 2012. قبل للنشر في 7 / 5 / 2012)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث _بداية_ مفهوم التّرجمة (لغة واصطلاحاً)، ثمّ ينتقل إلى الحديث عن تاريخ تطوّرها منذ القديم وحتّى عصرنا الحاليّ، متبعاً ذلك كلّه بالوقوف على شروطها، وأهمّ أنواعها، وطرائقها، مبيّناً أثرها في إحياء اللّغة العربيّة. وينتهي البحث بخلاصة تبيّن أهمّ النّتائج التي تمّ التّوصّل إليها.

الكلمات المفتاحيّة: التّرجمة، إحياء، اللّغة العربيّة، أثر.

* أستاذ – قسم المناهج وطرائق التّدريس– كليّة التّربية– جامعة دمشق– دمشق– سورية.
** طالبة دراسات عليا (ماجستير)– قسم المناهج وطرائق التّدريس– جامعة دمشق– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (34) العدد (2)2012
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (34) No. (2) 2013

Translation and its Effect on the Renewal of the Arabic Language

Dr. Mouhammad Khair Al-Fawal*
Khadeja Rkhamya**

(Received 4 / 1 / 2012. Accepted 7 / 5 / 2012)

□ ABSTRACT □

This research deals first with the concept of translation. The research also talks about the development of Translation from old times till our modern age, in a way that shows its terms, kinds and methods. This development has a great impact in the renewal of Arabic language. The research ends with a summary that points out the most important results that have been attained.

Key words: Translation, Renewal ,Arabic language, Effect.

***professor, faculty of Education, University of Damascus, Damascus, Syria.**
****Postgraduate student, faculty of Education, University of Damascus, Syria.**

مقدّمة:

يقول د.جابر عصفور: "مهما تحدّثنا عن أهمّيّة الإبداع الذّاتيّ أو الاستقلال الفكريّ ومضينا في طريق تنمية القدرات الذّاتيّة، وبحثنا لأنفسنا عن هويّة خاصّة نباهي بها غيرنا، فلا نتيجة فعليّة يمكن أن نحقّقها في ذلك كلّه لو تجاهلنا حتميّة الانفتاح على العالم من حولنا، وضرورة معرفة أسرار تقدّمه، والأخذ من منجزات هذا التّقدّم ما يدفعنا إلى الأمام". (1)

تشير هذه العبارات إلى حتميّة معرفة عوالم التّقدّم من حولنا عن طريق وسائل متنوّعة لعلّ أبرزها التّرجمة؛ وذلك لما أدّته من دور بارز في تحقيق التّواصل بين الشّعوب المختلفة منذ القدم وحتّى الآن. وقد عرف العرب التّرجمة كما عرفتها سائر الشّعوب؛ إذ تواصلوا من خلالها _ في العصر الجاهليّ _ مع المحيط المجاور، ولكن بشكل محدود .

وما إن بزغ فجر العصر العبّاسيّ حتّى بلغت التّرجمة عصرها الذّهبيّ، فمن منّا لا يذكر (دار الحكمة) التي أمر بإنشائها الخليفة (المأمون)، والتي نتج عنها تزويد المكتبة العربيّة بآلاف الكتب المترجمة.

وبقيت التّرجمة بين مدّ وجزر إلى أن وصلت إلى الصّورة التي نراها عليها اليوم، إذ اتّخذت صورة جديدة مختلفة عن صورتها في الماضي، وأصبحت علماً قائماً بذاته، له قوانينه وأصوله. وذلك نتيجة للتّطوّر الهائل للعالم، وتقنيّة تبادل المعلومات منذ أواسط القرن العشرين.

أهميّة البحث وأهدافه:

انطلاقاً من أهمّيّة التّرجمة، وإيماناً منّا بضرورة الانفتاح على الثّقافات المختلفة للسّير في ركب الحضارة قدماً نحو الأمام، سنحاول في هذا البحث تسليط الضّوء على بعض الجوانب النّظريّة في دراسة التّرجمة، فالبحث يقدّم مقولات نظريّة تسعى إلى تقديم الفائدة للمتلقّي، من خلال التّعريف بمسيرة التّرجمة عبر العصور، وذكر أبرز المترجمين الذين أسهموا في إرساء دعامات هذا العلم، والوقوف على دور التّرجمة في إحياء اللّغة العربيّة ، وتجدّدها.

منهجيّة البحث:

يمكن القول إنّ البحث لم يقيّد نفسه بمنهج محدّد، بل اعتمد على مناهج مختلفة _ لعل أبرزها المنهج المقارن الذي يبيّن أثر كلّ نوع من أنواع التّرجمة في إحياء اللّغة العربيّة _ تسهم في إيصال ما يريده إلى ذهن المتلقي.

وقد أفاد من مجموعة من الدّراسات التي تناولت هذا الموضوع، نذكر منها: (علم التّرجمة النّظريّ) لأسعد حكيم، و(فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ) لمحمّد عبد الغنيّ حسن، و (الأدب المقارن) لعبده عبّود، والعديد من الدّراسات الأخرى التي أسهمت في تقديم الكثير عن هذه الظّاهرة، وقد اهتمّ بعض هؤلاء الكتّاب بالجانب اللّغويّ في دراستهم؛ كدراسة ج.س.كاتفورد ، بينما اهتمّ بعضهم الآخر بالجانب الأدبيّ؛ كدراسة محمّد عبد الغنيّ حسن، كذلك اعتمد آخرون الجانب المقارن ... لذلك سنحاول في بحثنا هذا الجمع بين هذه النّواحي لإيماننا بوجود ارتباط متبادل بينها توحيه وحدة الموضوع. آملين أن نكون قد أضفنا مرجعاً جديداً عن حركة التّرجمة: (تاريخها _ شروطها _ تطورها _ آثارها ...) يسهم في تقديم الفائدة للمتلقّي.

مفهوم التّرجمة: جاء في لسان العرب "التُّرجمان والتَّرجمان: المفسّر للّسان. وفي حديث هرقل: قال لترجمانه، بالضّم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التّراجم. وقد ترجمه، وترجم عنه".(2) وجاء في القاموس المحيط "التُّرجُمان: المفسِّر للّسان، وقد ترجمه، وترجم عنه". (3)

وجاء في المعجم الوسيط "ترجم الكلام: بيّنه ووضّحه. وترجم كلام غيره، وعنه: نقله من لغة إلى أخرى. وترجم لفلان : ذكر ترجمته. والتُّرجمان: المترجم، والجمع تَراجم و تراجمة. وترجمة فلان: سيرته وحياته".(4)

أمّا المعنى الاصطلاحيّ للتّرجمة فقد حدّده مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة على النّحو الآتي: " التّرجمة _ (F) tradition (E) translation النّقل من لغة إلى أخرى ".(5)

إذا تأمّلنا الكلام السّابق نجد أنفسنا أمام ثلاثة معان لغويّة للتّرجمة:

المعنى الأوّل: التّفسير والإيضاح.

المعنى الثّاني: النّقل من لغة إلى أخرى.

المعنى الثّالث: ذكر سيرة الشّخص وحياته.

وما يهمّنا في هذا البحث المعنى الثّاني _ أي النّقل من لغة إلى أخرى _ الذي يرتبط بشكل وثيق مع المعنى الاصطلاحيّ للتّرجمة.

أسباب الترجمة:

للتّرجمة أسباب عديدة نذكر منها:

أ. المطلب والحاجة:

ربّما تكون الحاجة من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى انتشار ظاهرة التّرجمة منذ القدم وحتى الآن. وقد تكون هذه الحاجة دينيّة أو علميّة أو سياسيّة ..... فحركة النّقل في الغرب كانت نتيجة الحاجة لمعرفة علوم العرب المتطوّرة، كعلوم الفلك، والهندسة، والرّياضيات ... (6)، كما أنّ حركة النّقل في العصر العباسيّ كانت وليدة الحاجة؛ حاجة الدفاع عن الدِّين ومقارعة خصومه بالحجج القويّة التي كانوا يتقنونها بسبب معرفتهم بالفلسفة اليونانيّة، ثم تحّول الأمر بعد ذلك إلى اشتغال في مجال الفلسفة طلباً للمتعة العقليّة، ورياضة الفكر على موضوعات لم تكن معروفة عند العرب. (7) وكان نتيجة ذلك انتشار مجموعة من الكتب المترجمة إلى العربيّة.

ب. **التّواصل :**

عرف الإنسان منذ زمن بعيد أهمية التّواصل مع الآخرين لتحقيق التّقدّم والرّقي. وقد أدّت التّرجمة دوراً كبيراً في تحقيق هذا التّواصل؛ إذ كانت بمنزلة الجسر الذي تعبر عليه الثّقافة من أمّة إلى أخرى، ولاسيما بعد انتشار التّرجمات الحديثة في المجلّات والقصص والجرائد(8)، التي وسّعت الآفاق الفكريّة للكثير من الشّعوب، وأسهمت في تحقيق التّفاهم الدوليّ والتّقارب الأمميّ. ومن أشهر المجلّات العربيّة التي أسهمت في نقل الثّقافة الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة (السّياسة الأسبوعيّة.... والمجلّة الجديدة لسلامة موسى ، ثمّ الرّسالة لأحمد حسن الزيات، وأختها الرّواية ، ثمّ مجلّة الثّقافة التي غصّت بالموضوعات والقصص المترجمة). (9)

ت. **خدمة المعرفة الإنسانيّة:** يبقى الإنسان بحاجة دائمة إلى تعميق معرفته الإنسانيّة عبر وسائل عديدة، وقد قامت التّرجمة العلميّة والأدبيّة بدور كبير في خدمة تلك المعرفة، إذ لم يتعطّل دولاب العمل الفرديّ أو الجماعيّ في هذا المجال منذ القدم وحتى الآن، فمن منّا لا يذكر دور (دار الحكمة) _ التي أمر بإنشائها الخليفة (المأمون) _ في ازدهار الحضارة العباسيّة .

أما في عصرنا الحديث فقد أنشئت مؤسّسات الطّباعة المختلفة، الخاصّة والعامّة، التي حملت قدراً كبيراً من عبء النّهضة الحديثة. (10)

ث. **المواكبة والتّغطية العلميّة والأدبيّة والقانونيّة للمصطلحات الجديدة ولكلّ رافد جديد:**

كانت التّرجمة _ وما تزال _ دعامة من دعائم النّهضات الفكريّة والثّقافيّة للشّعوب المختلفة، فمن خلالها بدأت النّهضة العلميّة والثّقافية في عصر صدر الإسلام، إذ أدرك الخلفاء حاجة الأمّة إلى معرفة أفكار الآخرين لتحقيق النّهضة العربيّة (11) وهذا ما أكّده _ د _ (طه حسين) عندما تحدّث عن حاجة المجتمع العربي إلى التّرجمة، ولاسيّما في عصر الانتقال من مرحلة إلى أخرى، أي من التّخلف والضّعف إلى التّقدّم والقوّة. وهي مرحلة تتّصف _ حسب رأيه _ بالظّمأ إلى استقبال كلّ ما هو جديد. (12)

ج. **المتعة وصقل الذّوق والخيال:**

ونقصد هنا بالذّوق ذوق الجمهور المتلقّي الذي أدّى دوراً كبيراً في توجيه حركة التّرجمة. فقد انقاد المترجمون في عملهم إلى أذواق القرّاء، ممّا أدّى إلى انتشار فنّ على حساب فنّ آخر، أو علم على حساب علم آخر. (13)

تشير " كار" في هذا المجال إلى أنّه " قد حكم على المترجم بأن يعمل دوماً من أجل الجمهور وبشكل منسجم معه، وهو يعرف مسبقاً أنّ عمله قصير العمر، إذ لا تشيخ سوى الأعمال الأصليّة، فيما تمضي التّرجمات، ويحلّ بعضها محلّ الآخر" . (14)

هكذا نجد أنّ ذوق الجمهور كان سلاحاً ذا حدين، أسهم أحدهما في انتشار ظاهرة مهمّة هي التّرجمة، بينما فوّت الآخر على المجتمع فرصاً كبيرة للتّطوّر والتّجديد في مجالات متنوّعة .

ح. **الثّقافة:**

تعدّ الثّقافة باعثاً مهمّاً من بواعث التّرجمة، إذ لا تتمّ التّرجمة إلاّ إذا توافر في الجهة المستقبلة طلب أو حاجة للتّبادل الثّقافيّ. فالإنسان يستورد ما يحتاج إليه، وما يفتقده في ثقافته المحليّة والقوميّة. (15)

وتزداد أهميّة الثّقافة بازدياد انفتاح الشّعوب بعضها على بعض، وهذا لا يتحقّق إلّا عن طريق التّرجمة، سواء أكانت ترجمة مسموعة أم مرئيّة. (16)

كانت تلك أهمّ الأسباب التي أسهمت في انتشار ظاهرة التّرجمة منذ العصور القديمة حتّى وقتنا الحاضر. ومن الجدير ذكره أنّ هذه الأسباب هي نفسها سواء أ كانت التّرجمة من اللّغة العربيّة إلى اللّغات الأخرى، أم العكس، فهذه الأمور جميعها تنطبق على الشّعوب كافّة التي ترغب في السّير في ركب الحضارة الإنسانيّة بشكل عامّ.

تاريخ تطور التّرجمة:

عرف العرب التّرجمة منذ القدم، إذ تواصلوا عن طريقها _ ما قبل الإسلام _ مع المحيط المجاور، ومع الصّين والهند واليونان، ولكن بشكل محدود. (17)

أمّا حركة الثّقافة في مجال العلوم المختلفة فقد بدأت في عصر بني أميّة بعد جيل أو اثنين من الفتح الإسلاميّ، ولكنّها لم تكن سوى بدايات أو نواة للتّرجمة. (18)

وفي العصر العباسيّ ازدهرت التّرجمة، وأقبل السّريان على ترجمة كلّ ما شاع بينهم من معرفة، وعلم، وفلسفة، ويقبل الفرس والهنود كذلك على نقل علومهم المتنوّعة. (19)

ويمكننا أن نقسم المرحلة العباسيّة للتّرجمة إلى ثلاثة أدوار أو أجيال:

الجيل الأوّل: من عام 753 م إلى عام 813 م، أي في بداية الحكم العباسيّ في زمن (المنصور) و(الرّشيد).(20)

لقد اهتمّ "المنصور" بعلم الفلك فأمر بترجمة الكتب التي تتناول هذا العلم ومن أهّمها كتاب (إقليدس) الذي يعدّ "أولى الترجمات من اليونانية إلى العربية لدى المسلمين". (21)

أمّا أشهر المترجمين في هذه الفترة: فهو (ابن المقفع) الذي ترجم عدداً من الكتب التّاريخيّة والسّياسيّة، والأدبيّة فمن منّا لا يذكر كتاب (كليلة ودمنة) الذي نقله إلينا عن اللّغة الفارسيّة، (وأبو يحيى البطريق) الذي ترجم أجزاءً من كتب (ابقراط) و (جالينوس) في الطّبّ. (22)

ونمضي إلى عصر الرّشيد لنراه يأمر بإنشاء خزانة للحكمة، وإدارة للتّرجمة وضع على رأسها (يوحنّا بن ماسويه). وممّا ترجم في عصره كتاب (المجسطيّ في الجغرافية) (لبطليموس الإسكندريّ). (23)

الجيل الّثاني: ينطلق هذا الجيل للتّرجمة من عهد الخليفة (المأمون) الذي شجّع عليها، وأرسل في طلب الكتب من بلاد الرّوم (24). "وقد تحوّلت خزانة الحكمة في عصره من مكتبة بسيطة إلى مركز دراسات حقيقيّ).(25)، وضمّ ذلك المركز طائفة من كبار المترجمين أمثال: (سهل بن هارون)، و (الخوارزميّ) وغيرها، وعهد بإدارة التّرجمة إلى (حنين بن إسحاق). (26)

ويقال : إنّ (المأمون) كان يدفع لهم رواتب خياليّة. هذا عدا الجوائز التي كانت توزّع عليهم في يوم محدّد من كلّ أسبوع. (27)

الجيل الثّالث: يمتدّ من عام _ 912 م _ إلى نهاية القرن العاشر. ومن أهمّ المترجمين في هذه الفترة: (متّى بن يونس) في بغداد، و(ابن ثابت بن قره)، و(يحيى بن عديّ)، و(ابن روعة). وقد ترجموا العديد من الكتب المنطقيّة والطّبيعيّة (لأرسطو). (28)

وهكذا نجد أنّ التّرجمة قد ازدهرت في العصر العباسيّ ازدهاراً كبيراً، وكانت بحقّ دعامة نهضة العباسيّين الثّقافيّة.

إذا تجاوزنا العصور اللّاحقة للعصر العباسيّ وصولاً إلى أواسط القرن التّاسع عشر نجد أنّ حركة التّرجمة في الوطن العربيّ قد شهدت بداية عصر ذهبيّ جديد، يختلف عن العهود السّابقة في أنّ تلك الحركة لم تقتصر على نقل المؤلّفات الفكريّة والعلميّة فقط، بل كان للأدب نصيب في تلك التّرجمات ؛ إذ ترجمت القصّة والمسرحيّة ... وقد انصبّ الاهتمام في البداية على الأدب الفرنسيّ، ثمّ ما لبث أن شمل آداباً أوروبيّة متعدّدة. ومن أبرز الأعمال المترجمة في هذه المرحلة: رواية (آلام فرتر) للكاتب الألمانيّ (يوهان ف غوتيه) ، ورواية (ماجدولين) ترجمها (مصطفى لطفي المنفلوطيّ). (29)

ومن أحدث التّرجمات في القرن الحادي والعشرين ترجمة قام بها مجموعة من العرب_ 170 شخصاً _ يقطنون في ألمانيا، إذ قاموا بترجمة العديد من الأعمال العربيّة، وخاصّة الإسلاميّة منها، وذلك بهدف التّعريف بالحضارة العربيّة والإسلاميّة.

بعد هذا الاستعراض لتاريخ التّرجمة نلحظ أنّ التّرجمة قد تطوّرت بشكل تدريجيّ من عصر إلى آخر، وذلك تبعاً للأسباب التي دعت إليها، والتي تنوّعت بين أسباب شخصيّة، وأسباب سياسيّة ربّما نستطيع أن نقول عنها إنّها أسباب سلطويّة، كما لحظنا في العصر العباسيّ، فقد كانت الرّغبة في التّعريب من أهمّ دوافع التّرجمة في ذلك العصر، وكذلك كان اهتمام الخلفاء بهذا العلم، أو ذاك دافعاً لترجمة الكتب المختلفة.

شروط التّرجمة:

نستطيع أن نوجز شروط الترجمة الأساسيّة فيما يأتي :

1. البيان.
2. معرفة اللّغة المنقول عنها والمنقول إليها .
3. معرفة الموضوع المنقول .
4. ثقافة المترجم .

لقد ذكر (الجاحظ) ثلاثة من هذه الشّروط في كتابه (الحيوان)، إذ يقول: "ولا بدّ للتّرجمان من أن يكون بيانه في نفس التّرجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس في اللّغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية ...". (30)

استطاع (الجاحظ) في هذا النّصّ أن يضع _ دون أي تهاون _ الشّروط الضّروريّة من أجل الوصول إلى ترجمة كافية ؛ فقد أشار إلى أنّه يجب على المترجم أن يدرك الموضوع بقدر إدراك الكاتب الأصليّ له، وقدّم في الوقت ذاته ملاحظات عديدة حول الأمور التي تتعلّق باللّغة، والتي تتلخّص (في امتلاك زمام اللّغة أو لغات العمل، والتّداخلات اللّغويّة، والتّماثل أو عدمه بين لغة البداية ولغة الوصول". (31)

الأمر اللافت للنّظر هو أنّ (الجاحظ) قد تنبّه إلى ظاهرة التّداخل بين اللّغات، وأشار إلى أن كلّ لغة تستعير من الأخرى، تتجاذب معها أو تتعارض بشكل متبادل. وهذا التّداخل بين اللّغات يحيلنا إلى مسألة التّمييز بين الألفاظ العربيّة الصّرفة، والألفاظ الدّخيلة أو المعرّبة، إذ كان الحلّ الأكثر انتشاراً هو النّقل الحرفيّ إلى العربيّة، مع تعديلات صوتيّة بسيطة تسعى إلى جعل الألفاظ المستقبلة مقبولة للآذان العربيّة. (32)

1. البيان:

تحتاج التّرجمة إلى أن يكون المترجم صاحب (بيان) كي يكون قادراً على صياغة المعنى صياغة واضحة، سهلة اللّفظ ، متينة السّبك، وبهذا يخلو تركيب النّصّ المترجم من غموض الكلام، ووضعه في غير موضعه، ويخلو من تنافر الحروف وغرابة الاستعمال، والكراهية في السّمع ... (33)

لا شكّ أنّ صياغة النّصّ في اللّغة المترجم إليها (اللّغة الهدف) يتطلّب من المترجم القدرة على نظم الكلام على أساليب تلك اللّغة. وفي هذا الصّدد يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت له، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها". (34)

إنّ صاحب البيان يراعي الأسلوب اللّغويّ فيما ينقله عن اللّغات الأجنبيّة، إذ لا يذهب في أسلوبه بروح الفكر الذي يحاول نقله، بل يترجمه بكلام عربيّ فصيح يسوقه على مناهج العرب؛ فهو ينقل النّصّ الأجنبيّ نقلاً حرفيّاً إلى اللّغة العربيّة _ كما نظم في لغته _ ثم يعود فيكتبه على الأسلوب العربيّ من خلال التّقديم والتّأخير، دون زيادة أو نقصان، ليعمد بعدها إلى تفريغ روح المؤلّف في النّصّ، وشعوره من خلال النّسق المنظّم. فمهمّة المترجم ليست نقل العبارة إلى اللّغة الهدف، بل مهمّته أن ينفذ إلى روح المؤلّف، وأن يفهم شخصيّته. (35)

2. معرفة اللّغة المنقول عنها والمنقول إليها (لغة المصدر ولغة الهدف):

تعدّ معرفة القواعد النّحويّة والصّرفيّة من أهمّ الأمور التي ينبغي أن يتحلّى بها المترجم، كي لا يكون عمله عرضة للخطأ والتّشويه، إذ يجب أن تتوافر في المترجم المعرفة اللّغويّة حتّى لا يرى نفسه "يسير على دروب موحشة، أو يتخبّط خبط عشواء في أثناء التّرجمة". (36)

قلّما يتحقّق التّوازن بين اللّغة المصدر ولغة الهدف. ومن هنا وجب على المترجم أن يجيد اللّغة المنقول عنها إجادته لّلغة المنقول إليها فالتّرجمة السّيّئة أو الرّديئة يمكن أن تعزى إلى ضعف المترجم في اللّغة المنقول عنها، أو غياب الفهم الجيد لدقائقها. وينتج عن هذا النّوع من التّرجمات تشويه النّصّ الأصلي. (37)

ومن هنا ينبغي على المترجم أن يكون شخصاً مزدوج اللّغات ومتعدّدها "وبهذه الصّفة، وبطبيعة موقفه بين لغتين أو أكثر، وبين ثقافتين وحضارتين مختلفتين، يكون المترجم بمعنى فلسفيّ في منزلة فريدة بين ثقافتين، لكنّه في الوقت ذاته، فوق تأثير اللّغة الواحدة والثّقافة والبيئة الاجتماعيّة الواحدة. بهذا يكون مثله مثل اللّغويّ _ الدّارس لخصائص اللّغات البشريّة _ أوّل مرشح للتّحرّر من التّعصّب للغة واحدة أو ثقافة واحدة مهما سمت هذه اللغّة، ومهما ارتقت مظاهر هذه الثّقافة أو الحضارة".(38)

3. معرفة الموضوع المنقول:

يتطلّب هذا الشّرط من المترجم أن يكون ملمّاً بالموضوع الذي يترجمه، إذ ينبغي على مترجم المؤلّفات العلميّة أن يكون على معرفة بهذا الاختصاص، وكذلك يجب على المترجم الذي ينقل المواضيع الأدبيّة أن يلمّ بما يخصّ أدب الشّعب الذي يترجم عن لغته. الأمر الذي يهوّن عليه أمر النّقل ببيان واضح وأمين. (39)

يقول د.عمر فروخ: " لمّا طلب منّي نقل مذكّرات أيّوب خان (رئيس الباكستان سابقاً): (أصدقاء لا سادة) من الإنكليزيّة إلى العربيّة، واستعرضت تلك المذكّرات، داخلني شيء من الهيبة، لأن تلك المذكّرات تنطوي على أمور سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وقضائيّة واجتماعيّة، وكلّها تتعلّق بالهند والباكستان (والمصطلحات في هذه كلّها مختلفة عمّا قد ألفناه نحن في البلاد العربيّة). ولّما حدث الإصرار على أن أتولّى أنا هذا النّقل، قبلت بعد التّفاهم على أن أرجع فيما لا أدريه إلى سفارة الباكستان في بيروت". (40)

ويقول د. أسعد حكيم: " يجب على مترجم المؤلّفات الأدبيّة أن يعرف المؤلّف تماماً ومذهبه، وآراءه، وأساليبه الجماليّة، واتّجاهه الأدبيّ، والعصر المصوّر في نتاجه الأدبيّ، وظروف الحياة الاجتماعيّة، وثقافته، وأمور كثيرة أخرى. ويجب على مترجم المؤلّفات الاجتماعيّة، والسّياسيّة، أن يعرف نظم الدّولة، والموقف السّياسيّ، والعوامل الأخرى، مثل البلد الذي أنشئ فيه النّصّ المترجم، والعصر الذي كتب أو نطق فيه. ويجب على مترجم النّصوص العلميّة التّقنيّة أن يملك معارف محدّدة في المجال الذي يعزى إليه النّصّ المترجم سواء أكان علم الأحياء، أم الفيزياء، أم علم الفلك، أم أي فرع آخر من فروع المعرفة". (41)

4. ثقافة المترجم:

إنّ الثّقافة ضروريّة لكلّ إنسان، وخاصّة المترجم الذي يتّصل بمجموعة من العلوم والفنون. فالمترجم المثقّف هو"الذي يسعى إلى المعارف، ويعلّم نفسه مدى حياته. ولن يبلغ المترجم النّضج في تفكيره، والمهارة في عمله ما لم ينفق على تثقيف نفسه بمثل الجهد الذي ينفق على تأمين معيشته". (42)

نستشفّ من هذا القول أنّه ينبغي على المترجم أن يأخذ من كلّ علم بطرف، ليكون قادراً على الإبداع في ترجمته، فليست التّرجمة عمليّة نسخ فحسب، بل يمكننا أن نعدّها إبداعاً جديداً للنّصّ إذا أنجز المترجم عمله بشكل يدلّ على براعته ومعرفته.

إذاً: على المترجم الذي يرغب بتحقيق ثقافة واسعة أن يدرس جميع المعارف البشريّة دراسة تعميم وتوسّع. يقول الأستاذ (عجاج نويهض): "إنّ مجرّد معرفة اللّغتين _ المنقول إليها والمنقول منها_ معرفة لغويّة، ولو واسعة، لا يفيد الغرض كاملاً، إلاّ إذا سبحت معرفة المنقول إليها بعد ذلك في محيط من الثّقافة الغزيرة النّيّرة البصيرة الحاذقة". (43)

أنواع التّرجمة:

للتّرجمة أنواع عديدة يمكننا أن نجملها فيما يأتي:

1. التّرجمة التّحريريّة:

تستخدم في هذا النّوع كلتا اللّغتين: _ لغة المصدر، ولغة الهدف _ بشكل تحريريّ. وقد ظهرت هذه التّرجمة على أثر اختراع الكتابة منذ آلاف السّنين (44). وفي هذا النّوع من التّرجمة يقوم المترجم بالاطّلاع على النّصّ الأصليّ الذي سيتمّ نقله، ثمّ يترجمه إلى لغة الهدف، مستعيناً في بعض الأحيان بالقواميس والمراجع المتنوّعة. وتشمل هذه التّرجمة معظم التّرجمات اليوميّة، ومن أمثلة هذا النّوع من التّرجمات، ترجمات الموادّ الإعلاميّة المكتوبة، وترجمة المراسلات التّجاريّة، والتّرجمات السّياسيّة. (45)

يقسم د. محمّد عوض التّرجمة التّحريريّة إلى ثلاثة أنواع على الشّكل الآتي:

"أ_ التّرجمة بوصفها عملاً يوميّاً أو نشاطاً أو مصطلحاً يجري كلّ يوم بحكم العمل المطّرد الرّتيب، فهناك هيئات يدخل في صميم عملها أن تتّصل بهيئات أجنبيّة، وتتلقّى رسائل بلغات أجنبيّة، ولا بدّ أن تترجم بسرعة، وهذه التّرجمات التّجاريّة والمصطلحيّة هي عادّة من طراز مألوف، له مصطلحاته وموضوعاته، التي لا يكاد يخرج عنها، ولا يجد المترجم كبير عناء في ممارسة عمله وإنجازه بسرعة تكاد تكون آليّة. وربّما كان من هذا القبيل أيضا التّرجمة المتّصلة بحرفة الصّحافة. إذا كانت لا تعدو الأنباء السّياسيّة أو الاجتماعيّة، والحوادث الدّوليّة المألوفة. وهذه أيضاً تتطلّب السّرعة في إنجازها، حتى لا تتأخّر الصّحيفة عن موعدها.

ب_ أمّا الطّراز الثّاني، فإنّه يتناول الرّسائل الخطرة المتبادلة بين الملوك والأمراء والرؤساء والزّعماء ... وهذا الطّراز وإن كان قليلاً في وقتنا هذا، فإنّه في الحقيقة من أقدم مظاهر التّرجمة التّحريريّة، كما رأينا في وثائق تل العمارنة. ولا يزال هناك إلى وقتنا هذا مذكّرات تكتب وترسل إلى ذوي النّفوذ ومراسلات ومكاتبات خطرة يتبادلها رؤساء الدّول من آنٍ لآن...

جـ_ أمّا الطّراز الثّالث من التّرجمة التّحريريّة، فهو الذي يتّصل بأمر مستقرّ ثابت على مدى الأيام. ولذلك يتطلّب في إنجازه كثيراً من العناية والتّأنّي، لأنّ التّرجمة هنا تتناول بعض الآثار العقليّة، تلك الآثار التي يتألّف منها التّراث الثّقافيّ لكلّ جيل من النّاس". (46)

2. التّرجمة الشّفويّة _ الشّفويّة، أو التّرجمة الفوريّة:

أدّت هذه التّرجمة دوراً كبيراً في التّواصل، قبل اختراع الكتابة، ولا تزال تستخدم من قبل العديد من الأشخاص في وقتنا الحاضر، إذ تقوم بدور مهمّ في المعاملات والمنظّمات الدّوليّة، وفي محاورات السّياسيّين ومفاوضاتهم.(47)

تقسم هذه التّرجمة إلى نوعين فرعيّين: التّرجمة المتتابعة _ والتّرجمة التّزامنيّة (الفوريّة).

يقول د. أسعد حكيم:" إنّ التّرجمة المتتابعة هي التّرجمة الشّفويّة للنّصّ بعد سماعه. يمكن: بطبيعة الحال، أن تترجم بشكل متتابع كلّ جملة أو كلّ فقرة. ولهذا يسمّون مثل هذه التّرجمة (ترجمة الفقرات _ الجمل). ومن الممكن أن تترجم بشكل متتابع، بعد سماع النّصّ كلّه، بصرف النّظر عن طوله. إنّ التّرجمة المتتابعة للنّصّ كلّه بعد سماعه دليل على أهليّة المترجم العالية. إنّ العديد من الأشخاص السّياسيّين والاجتماعيّين لا يحبّون أن يقطعوا كلامهم لكي يعطوا الوقت إلى التّرجمة. إنّ الكلام المقطوع أقلّ تأثيراً في المستمع _ من حيث منطق العرض والشّحنة الانفعاليّة _ من الكلام الملفوظ بالكامل. إلاّ أنّ الكلام لا يستمرّ أحياناً إلاّ عدّة دقائق، الأمر الذي يمكّن المترجم من الاحتفاظ بنصّ الكلام كلّه في رأسه". (48)

ممّا سبق نجد التّرجمة المتتابعة تقوم على ترجمة النّصّ المصدر بصورة كاملة دون انقطاع، أو فقرة فقرة (أي بمجموعات عديدة من الجمل)، وهذا ما يجعلها غير مقيّدة بالزّمن كالتّرجمة التّزامنيّة.

إنّ التّرجمة التّزامنيّة (الفوريّة) تتمّ في وقت قصير جدّاً، وأحياناً في الوقت ذاته الذي يؤلّف فيه النّصّ المصدر.

"وبسبب اعتبارات نظريّة، يفترض أنّ التّرجمة لاحقة للنّصّ المصدر، لكنّه في حالة معيّنة يطّلع المترجم على النّصّ بلغة النّصّ المصدر قبل شروع المتكلّم أو الخطيب في الكلام في مؤتمر أو اجتماع، فقد يبدو أحياناً أنّ المترجم يسبق المتكلّم أو النّصّ المصدر في إعطاء النّصّ المترجم. لكنّ النّصّ الذي يترجم منه المترجم هو طبعاً سابق لنصّه المترجم، وإن كان فعلاً يصل إلى المستمع بعد النّصّ المترجم عن طريق المتحدّث". (49)

نستنتج ممّا تقدّم أنّ المترجم في هذه العمليّة مقيّد بعدد من المراحل ينبغي أن يمرّ بها لتتمّ التّرجمة، فليس لديه مجال للانشغال في تأويل النّصّ على رويّة، ولا التّحقّق من أمور عديدة قد يثيرها هذا النّصّ، ولا مجال لديه للعودة إلى المراجع العامّة أو القواميس. ومن هنا تظهر أهمّيّة التّدريب المسبق، حتّى على استعمال وسائل المدرسة السّلوكيّة التي تعتمد على الفعل وردّ الفعل بشكل رئيس، فقد يكون النّصّ المصدر أو جزء منه بحاجة إلى ردّ فعل سريع ومحدّد يمكن التّعوّد عليه من خلال هذا التّدريب. (50)

3. التّرجمة الشّفويّة _ التّحريريّة، أو التّرجمة المنظورة:

يمكننا أن نلحظ ضربين في هذا النّوع من التّرجمة: ضرب تتحقّق فيه التّرجمة في وقت واحد مع قراءة الأصل، وضرب آخر تتحقّق فيه التّرجمة بصورة متتابعة بعد قراءة النّصّ كلّه.

يقول د. أسعد حكيم: "كثيراً ما يسمى الضّرب الأوّل من التّرجمة الشّفويّة _ التّحريريّة (التّرجمة دون استعمال القاموس) أو (التّرجمة عن الورقة مباشرة)، ويسمّى الضّرب الثّاني (التّرجمة مع التّحضير).إنّ التّسمية اصطلاحيّة؛ لأنّ (التّحضير) قراءة تمهيديّة، وفهم مبدئيّ للنّصّ الأصليّ). (51)

4. التّرجمة التّحريريّة الشّفويّة، أو التّرجمة التّحريريّة للنّصّ الشّفويّ:

يستخدم هذا النّوع من التّرجمة بشكل نادر، والسّبب في ذلك يعود إلى أنّ السّرعة التي تتمّ بها عمليّة التّحرير (الكتابة) أقلّ بكثير من سرعة لفظ النّصّ الشّفويّ. إلاّ أنّه من الممكن أن يسجّل المترجم النّصّ الملفوظ شفويّاً بواسطة الاختزال، وبعد ذلك يترجم الكلام المسجّل ترجمة تحريريّة. إلاّ أنّ هذا لن يكون ترجمة تحريريّة _ شفويّة بالمعنى الكامل

للعبارة، ذلك لأنّ الكلام المسجّل ليس شفويّاً، بل هو نصّ تحريريّ على حدّ تعبير د. أسعد حكيم. وربّما تكون الحالة الوحيدة لاستخدام هذا النّوع من التّرجمة أي التّرجمة التّحريريّة _الشّفويّة_ هي ما يعرف بالتّرجمة الإملائيّة، التي تتمّ في أثناء الدّروس لتعلّم اللّغة الأجنبيّة، والتي يلفظ فيها النّصّ الشّفويّ بصورة بطيئة، ممّا يمكن ترجمته بصورة تحريريّة. (52)

بعد أن عرضنا لأهمّ أنواع التّرجمة نستطيع أن نقول: إنّ لكلّ نوع من هذه الأنواع سمة تميّزه عن النّوع الآخر، وقد قام المترجمون عبر هذه الأنواع جميعها بدور كبير في نقل الثّقافات المختلفة إلى الأمّة العربيّة.

طرائق التّرجمة:

للتّرجمة طرائق عديدة أهمّها:

1. التّرجمة الحرفيّة:

فهم بعض المترجمين الأمانة في التّرجمة على أنّها المحافظة على كلّ كلمة موجودة في النّص الأصليّ، فراحوا يستبدلون المفردات المعجميّة والقواعديّة في لغة المصدر بما يقابلها من قواعد ومفردات معجميّة في لغة الهدف. (53)

وفي الإشارة إلى هذه الطّريقة يقول د. عمر فروخ: "وكثيراً ما يلجأ هذا النّاقل اللّفظيّ إلى القاموس يستخرج منه معاني الكلمات المطلوبة، وربّما اكتفى بالمعنى المألوف في بيئته. وكان يشترط في هذا النّقل اللّفظيّ أن يكون عدد الكلمات في النّصّ الجديد من اللّغة الثّانية مثل عدد الكلمات في النّصّ الأوّل". (54)

لا يمكن أن نعتبر النّقل الحرفيّ ترجمة دقيقة، لأنّ الألفاظ لا توجد في اللّغة، كوحدات معزولة ، بل في مجموعات دلاليّة معيّنة ومحدّدة، وغالباً ما يتحدّد معنى كلّ لفظة بموقعها في مجموعة معيّنة، كما في الحقل الدّلاليّ أو الحقل المعجميّ. والحقل الدّلاليّ كما يعرّفه د. أحمد مختار عمر هو: "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عامّ يجمعها".(55)

ومن هنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، أنّ المقارنة بين مجموعة من المفردات في قاموسين مختلفين في لغتيهما هي المرحلة الأولى في ترجمة نصّ ما، ومن الضّروريّ أن نحدّد بعدها معنى كلّ لفظة وفق قاموس اللّغة بالذّات لنقف على الفرق بينها من حيث مضمونها الدّلاليّ. إنّ هذا التّحليل المقارن للمفردات اللّغويّة يبيّن لنا أن الوحدات المعجميّة للغتين لا تتطابق إلاّ في حالات نادرة جدّاً. (56)

ونجد إلى جانب النّقل الحرفيّ _ للمستويات المعجميّة والقواعديّة _ النّقل الحرفيّ للبلاغة، إذ يعمد المترجم إلى تقليد أسلوب للنّصّ متناسياً ما قد يحدثه هذا الأمر من تشويه للمعنى وإخلال به (57) . ومن أسوأ العبارات المترجمة إلى اللّغة العربيّة بشكل حرفيّ عبارة الصّحفيّين: (تغطية الأحداث)، وذلك لأنّها ترجمة حرفيّة تعطي عكس المراد، الذي هو نشر الأخبار، لأنّ المراسل الصّحفيّ ليست غايته تغطية أخبار جهة ما، بل على العكس من ذلك، غايته كشف تلك الأخبار ونشرها. (58)

يتّضح لنا ممّا سبق ضرورة ألاّ تكون التّرجمة نقلاً حرفيّاً وحسب، بل ينبغي أن تقوم بدور أعمق من ذلك وهذا ما تؤكّده الباحثة رنا رداوي بقولها: " التّرجمة ليست عمليّة آليّة يقوم من خلالها المترجم بنقل كلمات من لغة إلى أخرى، أي عمليّة نقل لغويّ فحسب وإنّما هي عمليّة نقل ثقافيّ أيضاً، وقبل أي شيء، بحيث يدخل في تركيب هذا النّقل

عوامل متعدّدة مثل طبيعة النّصّ ومستقبله والغاية منه. يضاف إلى ذلك المناخ الفكريّ والعاطفيّ والنّفسيّ للشّعب الذي يترجم إليه" . (59)

2. التّرجمة الحرّة:

يرى كاتفور أنّ التّرجمة الحرّة هي " ترجمة غير مقيّدة دائماً حيث تصعد درجة التّكافؤ وتهبط في سلم الدّرجات إلاّ أنّها تميل إلى أن تكون على مستوى الدّرجات العالية، وتكون على مستوى أكبر من الجملة". (60)

إنّ التّرجمة الحرّة لا تتقيّد بالنّصّ الأصليّ كما وجدنا في التّرجمة الحرفيّة، وهذا يؤدّي إلى ترجمة ربّما لا يتحقّق فيها التّكافؤ المطلوب مع النّصّ الأصليّ، أي ربّما نقل النّصّ بطريقة غير دقيقة ، وهذا يعدّ عيباً من عيوب هذه التّرجمة، إلاّ أنّ هذا لا ينفي كون التّرجمة الحرّة مقبولة أكثر من التّرجمة الحرفيّة، إذ لا يوجد فيها _ بشكل عامّ تشويه للمعنى، أو إخلال بقوانين لغة التّرجمة. (61)

3. التّرجمة المعنويّة:

يرى د. عمر فروخ أنّ الطّريقة المعنويّة للنّقل من لغة هي "أن يقرأ النّاقل النّصّ كلّه قبل أن يبدأ النّقل، حتّى يستطيع أن يعرف منحى المؤلّف الأصليّ، واتجاه تفكيره، ونوع ألفاظه وصورة تراكيبه فإذا عاد النّاقل ليبدأ عمله، قرأ كلّ جملة تامّة، ثمّ أدارها في ذهنه حتّى يوقن أنّه قد فهم معناها ومرماها. بعدئذ يختار لها الألفاظ التي تعبّر عن مقصد الكاتب لا عن تراكيبه فقط، ويسوق الجملة في اللّباس العربيّ الموافق، وليس عليه أن يكون عدد الكلمات في جملته مثل عددها في النّصّ الأصليّ أو أكثر أو أقلّ" . (62)

نستنتج ممّا تقدّم أنّ هذه التّرجمة تتمّ على مراحل عديدة، إذ يقوم المترجم بقراءة النّصّ الأصليّ لفهمه وتعرّف فكر صاحبه، ثمّ ينقله بأسلوبه الخاصّ دون أن يتقيد إلاّ بالمعنى المتضمّن في النّصّ. فالشّرط الواجب توافره في هذه التّرجمة هو المحافظة على المعنى العامّ للنّصّ الأصليّ، وليس من الضّروريّ أن يكون عدد الكلمات في النّصّ المترجم مساوياً لعدد الكلمات في النّصّ الأصليّ.

"هناك عبارة للشّاعر الإنكليزيّ (تنيسون) اشتهرت حتّى كادت تجري مجرى المثل، وهي:

(men rise on stepping stones of their dead souls) فلو أنّها ترجمت إلى اللّغة العربيّة بمنطوقها الأعجميّ، لجاءت التّرجمة هكذا: (إنّ النّاس يصعدون على درجات من نفوسهم الميتة أو البالية ...)، وهذا الكلام لو قسته بمقياس الذّوق لوجدته فارغاً وغامضاً معاً، فالفكرة التي يهدف لها الشّاعر (تنيسون) ليست متبيّنة المعالم. ولقد أتيح لهذه العبارة أن تترجم إلى بيت من الشّعر هكذا :

إنّما المرء يرتقي للمعالي سلماً من مرارة الاختبار" . (63)

من هنا نجد التّرجمة المعنويّة تهتمّ بنقل معنى النّصّ الأصليّ، مع عنايتها بالبناء اللّغويّ للّغة الهدف. وهذه ناحية تحمد لهذه التّرجمة، ذلك أنّ لكلّ لغة نسيجها الخاصّ الذي يميّزها عن غيرها من اللّغات.

4. التّرجمة المماثلة:

يشير د.أسعد حكيم: إلى أنّ التّعريف الأنسب لهذا النّوع من التّرجمة هو التّعريف الآتي: "التّرجمة المماثلة هي النّقل الوافي لمضمون الأصل المعنويّ، والمطابقة الوظيفيّة الأسلوبيّة ذات القيمة الكاملة المعادلة له".(64). وهذا يعني أنّ التّرجمة المماثلة هي إعادة صياغة المضمون والشّكل بطريقة جديدة تناسب اللّغة الهدف.

تتحقّق التّرجمة المماثلة بوساطة التّحويلات المعجميّة والبلاغيّة والقواعديّة، وهكذا يستطيع المترجم _ عبر استخدامه الماهر لهذه التّحويلات _ أن ينقل عناصر الأصل كلّها بطريقة تلائم لغة الهدف.

والمماثلة في التّرجمة تعني :

"1_ مطابقة الأصل من حيث الوظيفة.

2_ اختيار الأدوات المناسبة في أثناء التّرجمة". (65)

وهكذا ينبغي على المترجم أن ينقل النّصّ بالتّقرّب الأدنى من الأصل في التّرجمة (شكلاً ومضموناً) بعد فهمه الدّقيق للأصل، وقدرته على اختيار المطابقات الموافقة وفق قوانين لغة التّرجمة. (66)

أثر التّرجمة في إحياء اللّغة العربيّة:

قلّ شأن اللّغة العربيّة في العصرين: المملوكيّ والعثمانيّ، وغدا الاهتمام بها مقصوراً على عدد قليل من علماء الأزهر والمساجد، الذين لم يتعمّقوا في تلك اللّغة، فكان نتيجة ذلك أن أهملت المتون، واقتصرت القراءة على كتب الشّروح والهوامش والتّعليقات.

أمّا السّبب الأهمّ الذي أدّى إلى ضعف اللّغة هو انتشار اللّغة التّركيّة بين العرب في مختلف الأقطار، إذ أصبحت اللّغة الأولى التي يكتب بها رجال الحكومة والجيش، والصفوة من سكان البلاد.

وإضافة إلى اللّغتين العربيّة والتّركيّة كانت اللّغة الفارسيّة، إلاّ أنّها كانت مقتصرة على بعض المثقّفين الذين أولعوا بها فراحوا يتعلّمونها لإرضاء شغفهم فحسب.

وعندما توسّعت الثّقافة الأوروبيّة راح العرب ينهلون من الثّقافة الإنكليزيّة والفرنسيّة، وخاصّة الفرنسيّة؛ فقد انصبّ اهتمام محمّد علي على التّرجمة عن تلك اللّغة، وبفضل جهوده زوّدت المكتبة العربيّة بالعديد من الكتب، ونقلت إليها الألوف من المصطلحات الجديدة (67). وكان أوّل من تنبه إلى دور التّرجمة في تكوين المواطن العربيّ في تلك المرحلة (الطهطاوي) _ أثر رجوعه عام 1930 من مرافقة أوّل بعثة أرسلها محمّد علي باشا للدّراسة _ الذي ترجم من الكتب ما رآه ضروريّاً للتّدريس في الجامعة، وأسّس (دار الألسن) للتّخصّص في اللّغات الأجنبيّة، والتّرجمة عنها وإليها. (68)

وقد تلا حركة التّرجمة الاهتمام الكبير بالقواميس في مختلف اللّغات الشّرقيّة والغربيّة، إذ تمّت ترجمة العديد من القواميس الفرنسيّة والإيطاليّة والتّركيّة إلى اللّغة العربيّة. وقد أسهمت هذه المحاولة في تعريب العلوم الأوروبيّة الحديثة، وتذليل الصّعاب أمام القائمين في التّرجمة، وتزويد اللّغة العربيّة بثروة عظيمة من المصطلحات والألفاظ. ونتيجة لهذه الأمور انتقلت العناية إلى القواميس العربيّة القديمة؛ إذ بدأ التّفكير في إعادة طبع (القاموس المحيط)، وقد روّجت نسخ مخطوطاته الكثيرة لمرّات عديدة ليتمّ طبعه بشكل دقيق.

وقد كانت الحاجة إلى توليد الكثير من المفردات والمصطلحات الجديدة دافع الكثير من العلماء إلى الاهتمام باللّغة والغوص في أصولها ومفرداتها، فراحوا يتسابقون إلى التّرجمة والتّأليف والإبداع، وافتخروا بقدرتهم على الحفظ والاطّلاع والنّقد والشّرح. ولا غرابة في ذلك، إذ يلحظ أنّ غالبيّة علماء اللّغة كانوا في ذلك العصر من المهتمّين بالتّرجمة نذكر منهم:

_ (أحمد فارس الشّدياق) الذي عمل على إحياء اللّغة العربيّة، من خلال إبراز الكثير من المفردات والمترادفات، ووضع الألفاظ الجديدة في معظم كتاباته.

_ (إبراهيم اليازجي) الذي سعى إلى إحياء اللّغة العربيّة عن طريق نقد الأخطاء الشّائعة في عصره، والعودة بالكتابة إلى اللّغة العربيّة الفصحى.

_ (بطرس البستانيّ) الذي أصدر معجم (محيط المحيط) في جزأين، ثمّ اختصره في (قطر المحيط) المؤلّف من جزأين أيضاً. وقد اعتمد في تأليفه على (القاموس المحيط) (للفيروز آبادي)، ولكنّه اختلف عنه في ناحيتين: (الأولى: استخدامه ما هو مألوف من الألفاظ في شرح المفردات، والثّانية: تصنيفه على الحرف الأوّل من الثّلاثي بدلاً من الحرف الأخير).

وقد جهد بعض الكتّاب في تسهيل الكثير من الكتب والقواعد، ممّا جعلها سهلة الحفظ والمراجعة، وعمد آخرون إلى نشر المخطوطات اللّغويّة والتّعليق عليها، وتصحيح أخطائها. ومن هنا كانت التّرجمة بمنزلة جسر انتقلت عبره حضارة أوروبا إلى الوطن العربيّ، وكانت الكتب والجرائد والمجلّات وسيلة من وسائل نقل تلك الحضارة، إذ اعتمدت بشكل رئيس على التّرجمة، وكان المترجمون ينقلون النّصوص الأجنبيّة بشكل حرفيّ غالباً، ولذلك تأثّروا بأسلوب من نقلوا عنهم وتأثّر بهم القرّاء فيما بعد.

كان فنّ المقالة يسير وفق نظام معيّن، إذ كانت المقالة تبدأ بمقدّمة طويلة يعتذر فيها الكاتب عن قلّة مخزونه في المجال الذي يكتب فيه، ثمّ يتصدّى للموضوع فيتأنّق في عباراته، ويتمهّل في اختيار ألفاظه، حتّى تأتي المقالة على نهايتها. أمّا في المقالات المترجمة فلا نجد مقدّمة أو خاتمة، بل نجد دخولاً مباشراً في الموضوع، مع بساطة في التّعبير، وسهولة في الألفاظ مع المحافظة على سلامة اللّغة. وقد أسهمت المجلّات في نشر تلك المقالات بلغة بسيطة، واضحة المعاني، وبعيدة عن السّجع البارد، وضروب الصّنعة البديعيّة وغيرهما ممّا كان شائعاً في العصر العثمانيّ.

لقد امتدّ تأثير التّرجمة إلى الأغراض النّثريّة فقد عرف العرب فنوناً لم يألفوها، كفنّي القصّة والمسرحيّة، وبعد أن تطوّرت حركة التّرجمة ظهرت محاولات لخلق أدب قصصيّ في العربيّة، وأوّل من خاض في هذا الفنّ (سليم البستانيّ) الذي نشر مجموعة من القصص في مجلّة(الجنان)(69)، أمّا في المجال الشّعريّ فقد ظهرت بعض ملامح التّجديد نتيجة الاطّلاع على الآداب الأجنبيّة، فقد كانت معظم التّرجمات الشّعريّة منصبّة على أشعار المدرسة الرّومانسيّة الفرنسيّة، كأشعار(هيغو) و(موسيه). ومن لم يتأثّر بالشّعر الرّومانسيّ تأثّر بالشّعر الكلاسيكيّ المترجم في المسرحيّات الشّعريّة المنقولة مثل: مسرحيّات (راسين) و (كورني) وغيرهما، أو تأثّر بالقصائد العربيّة المتأثّرة بالشّعر الغربيّ.

وكان نتيجة ذلك التّأثّر أن احتلّ الوصف مكاناً مميّزاً، واهتمّ الشّعراء بنظم شعر في الشّؤون الوطنيّة والاجتماعيّة، في حين أبعدت الأغراض التّقليديّة جانباً، وابتعد الشّعراء في قصائدهم عن طريقة الأقدمين في تضمين القصيدة أغراضاً عديدة، إذ جعلوا القصيدة تتحدّث عن موضوع واحد، وكانت الأبيات متتابعة وفق تتابع المعنى وتسلسله.

كما أدّت التّرجمة إلى وفود أنواع جديدة من النّظم إلى اللّغة العربيّة تندرج جميعها في باب القصّة الشّعريّة مثل: الشّعر القصصيّ، والمسرحيّة، والملحمة. وممّن اشتهر في باب الشّعر القصصيّ: (خليل الخوري و خليل مطران) وغيرهما.

أمّا المسرحيّة الشّعريّة فأوّل من نظمها في العربيّة (خليل اليازجي)، ثمّ نظمت مسرحيّات شعريّة عديدة استمدّت موضوعاتها من الأسطورة والتّاريخ والشّؤون العصريّة.

أمّا فيما يتعلّق بالأوزان الشّعريّة فقد تصرّف بعض الشّعراء بأوزان الشّعر وأحيوا أوزاناً أخرى. وهذا ما فعله (سليمان البستانيّ) في ترجمة (الإلياذة)، إذ استنبط ضروباً غير مطروقة في الشّعر، دون أن يخرج بها من أصول الشّعر واللّغة، وهذا ما فعله (خليل مطران) في قصيدة (الزّهرات الثّلاث).

وينبغي أن نشير هنا إلى أنّ هذا التّجديد لم يستعذبه الشّعراء جميعهم، فقد رفضه العديد منهم الذين حافظوا على الأوزان القديمة.

وهكذا كان أثر التّرجمة بالغاً ومفيداً في كلّ ما يتّصل بالحداثة، أي في نقل وتناول كلّ ما هو جديد من مؤلّفات واختراعات ومصنوعات، وفي كلّ ما يتعلّق بالعلوم الفنيّة والتّقنيّة والرّياضيّة .... فكانت بحقّ النّافذة التي تفتحها الشّعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها. (70)

الاستنتاجات والتّوصيات:

من خلال ما تقدّم يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

1_ التّأكيد على ضرورة عقد المؤتمرات التي تعنى بشؤون التّرجمة من حين لآخر، للوقوف على أهمّ المستجدّات التي تتعلّق بهذه الظّاهرة وذلك بعد أن سلّمنا بأهمّيّتها في تحقيق التّواصل بين الشّعوب المختلفة، ودورها الفعّال في إحياء اللّغة العربيّة وتعريب العلوم المتنوّعة. فالتّرجمة كما يقول بن عبد العالي: "هي التي تنفخ الحياة في النّصوص وتنقلها من ثقافة إلى أخرى". (71)

2_ لقد ارتبط ازدهار حركة التّرجمة بالأسباب التي دعت إليها في كلّ عصر من العصور التي مرّت بها، وقد نتج عن هذا الأمر انتشار ترجمات بعينها على حساب ترجمات أخرى وفق الظّروف المحيطة في كلّ مرحلة. ومن هنا نؤيّد د. جابر عصفور في دعوته إلى "عدم التّقوقع في مجال واحد، على نحو ما فعلت حركة التّرجمة العربيّة على امتداد عقود متتابعة، حيث كان التّركيز على الأدب والإنسانيّات والعلوم الاجتماعيّة بالدّرجة الأولى... وهو وضع يترتّب عليه ضمور حركة التّرجمة في مجالات كثيرة من المعرفة الإنسانيّة". (72)

3_ صحيح أنّ الترجمة كعلم قائم بذاته، له قواعده ونظريّاته، لم تنشط إلاّ في العصور الحديثة، إلاّ أنّ هذا لا ينفي أن البذور الأولى لهذه الظّاهرة موجودة منذ أقدم العصور. وهذا ما يؤكّد أنّ الاهتمام بالمنجزات الحديثة لا يعني أبداً إغفال الاهتمام بالأصول في التّراث الإنسانيّ.

4_ ليست التّرجمة عمليّة سهلة على الإطلاق، فهي لا تقوم على النّسخ فقط كما يعتقد بعض النّاس، بل هي عمليّة أعمق من ذلك بكثير"إذ تمثّل نصّاً آخر غير النّصّ الأصليّ، وعلى هذا كان لها هويّة أخرى غير هويّة النّصّ الأصليّ. إنّها صورة عن الأصل، مثلها مثل الممثّل الذي يؤدّي دور ملك فيصبح بذلك ملكاً". (73)

ومن هنا إنّنا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إنّ التّرجمة تمثّل نصّاً مساوياً للنّصّ الأصليّ. ولو كان الأمر كذلك لما احتاجت تلك العمليّة إلى توافر الشّروط التي ذكرها البحث.

ونختتم رحلتنا في رحاب التّرجمة بقول لألبرتوما نويل نؤيّده فيما ذهب إليه فيه:" قد تكون التّرجمة أمراً مستحيلاً، خيانة، ضرباً من الخداع، تلفيقاً، كذبة يائسة، غير أنّها في جريانها وسيرورتها تجعل القارئ أكثر حكمة، وأحسن إصغاء؛ أي أنّها تجعله أقلّ يقيناً، وأشدّ رهافة وحساسيّة" . (74)

الهوامش:

1-حول المشروع القوميّ للتّرجمة، جابر عصفور، مجلّة العربيّ، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد(494)، ، 2000، ص100.

2-لسان العرب، ابن منظور، المجلّد الأوّل، أعاد بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة: يوسف خيّاط و نديم مرعشليّ، دار لسان العرب، بيروت، مادّة (ترجم).

3-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشّيخ محمّد البقاعيّ، دار الفكر، 2005، مادّة (ترجم).

4-المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد النّجّار، وأشرف على طبعه: عبد السّلام هارون، الجزء الأوّل، مادّة (ترجم).

5-الصّحاح في اللّغة والعلوم، تجديد صحاح الجوهريّ، والمصطلحات العلميّة والفنيّة للمجامع والجامعات العربيّة، تقديم: الشّيخ عبد اللّه العلايلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشليّ وأسامة مرعشليّ، الطّبعة الأولى، دار الحضارة العربيّة، بيروت، 1974، مادّة (ترجم).

6- ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص11.

7- ينظر: فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ، محمّد عبد الغنيّ حسن، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، ص76.

8- ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999 ص11.

9- في الأدب العربيّ الحديث، عمر الدّسوقيّ، الجزء الأوّل، الطّبعة السّابعة، دار الفكر العربيّ، ص95.

10-ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص12.

11-ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص 13.

12-ينظر: الأدب المقارن، عبده عبود، منشورات جامعة البعث، حمص، 1988، ص142.

13-ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص14.

14-التّرجمة في العصر العباسيّ، مريم سلامة كار، ترجمة نجيب غزّاوي، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1998، ص100.

15-ينظر: الأدب المقارن، عبده عبود، ص127.

16-ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص14.

17-ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص10.

18-ينظر: التّرجمة والنّقل في العصر العبّاسيّ، سالم جبارة، مجلّة الموقف الأدبيّ، اتّحاد الكتّاب العرب،العدد (202_ 203)، السّنة(17)، ، دمشق، 1988، ص153.

19-ينظر: الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ، شوقي ضيف، الطّبعة التّاسعة، دار المعارف، القاهرة1976، ص130.

20-ينظر: التّرجمة في العصر العبّاسيّ، مريم سلامة كار، ص13.

21-المرجع السّابق نفسه، ص13.

22-ينظر: الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ، شوقي ضيف، ص130.

23-ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص130_ 131.

24-ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص 131.

25-التّرجمة في العصر العبّاسيّ، مريم سلامة كار، ص15.

26- ينظر: الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ، شوقي ضيف، ص131.

27- ينظر: التّرجمة والنّقل في العصر العبّاسيّ، سالم جبارة، ص143_ 144.

28- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص155.

29- ينظر: الأدب المقارن، عبده عبود، ص141 .

30- من كتاب الحيوان، الجاحظ، السّفر الأوّل، نعيم الحمصيّ، وعبد المعين الملوحيّ، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1979، ص326.

31- التّرجمة في العصر العبّاسيّ، مريم سلامة كار، ص87.

32- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص88_ 90.

33- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، الطّبعة الأولى، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، 1989، ص182.

34- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجانيّ، دار المعرفة، بيروت، ص64.

35- ينظر: فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ، محمّد عبد الغنيّ حسن، ص35_ 36.

36- التّرجمة الأدبيّة، كيف وإلى أين؟ صلاح حاتم، مجلّة المعرفة، وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، العدد(361)، 1993، ص92.

37- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص97.

38- التّأويل ولغة التّرجمة (نحو نظريّة لغويّة لدراسة الإبداع والإتباع في التّرجمة)، عمر شيخ الشّباب، دار الهجرة، بيروت، 1988، ص23.

39- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص184.

40- عبقريّة اللّغة العربيّة، عمر فرّوخ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1981، ص287.

41- علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص54_ 55.

42- المرجع السّابق نفسه، ص185.

43- المرجع السّابق نفسه، ص185، نقلاً عن ذكرى عادل زعيتر، ص64_ 65.

44- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص67.

45- ينظر: التّأويل ولغة التّرجمة، عمر شيخ الشّباب، ص50_ 51.

46- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص68، نقلاً عن فنّ التّرجمة، محمّد عوض محمّد، معهد البحوث والدّراسات العربيّة 1969، ص15_16.

47- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم،ص 69.

48- المرجع السّابق نفسه، ص69.

49- التّأويل ولغة التّرجمة، عمر شيخ الشّباب، ص52.

50- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص54.

51- علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص71.

52- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص71_ 72.

53- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص 187.

54- عبقريّة اللّغة العربيّة، عمر فروخ، ص288_ 289.
55- علم الدّلالة العربيّ، أحمد مختار عمر، الطّبعة الأولى، دار العروبة، 1982، ص79.
56- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص 108.
57- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص188.
58- ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص 192.
59- مفهوم التّرجمة اليوم، رنا رداوي، مجلّة المعرفة، وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، العدد (427)، 1999، ص222.
60- نظريّة لغويّة في التّرجمة، ج. س كاتفورد، ترجمة: خليفة العزابيّ، ومحيي الدّين حميديّ، المراجعة اللّغويّة: عيسى العاكوب، معهد الإنماء العربيّ، الطّبعة الأولى، بيروت 1991، ص39.
61- ينظر: علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص 192_ 194.
62- عبقريّة اللّغة العربيّة، عمر فروخ، ص289.
63- فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ، محمّد عبد الغنيّ حسن، ص37.
64- علم التّرجمة النّظريّ، أسعد حكيم، ص 197.
65- المرجع السّابق نفسه، ص197.
66- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص 198_ 199.
67- ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص 103_ 104_ 211.
68- ينظر: التّرجمة والإنسان، أنطون المقدسيّ، مجلّة الموقف الأدبيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد (299_ 233)، السّنة(20)، دمشق، 1990، ص208.
69- ينظر: التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة، سالم العيسى، ص 211_ 104_ 105_ 216_ 217.
70- ينظر: المرجع السّابق نفسه، ص 212_ 213_ 214_ 107.
71- فنّ التّرجمة، عبد السّلام بن عبد العالي، الطّبعة الأولى، دار الطّليعة، بيروت، 2001، ص7.
72- حول المشروع القوميّ للتّرجمة، جابر عصفور، ص103.
73- التّرجمة الأدبيّة، كيف، وإلى أين؟ صلاح حاتم، ص92.
74- المترجم بوصفه قارئاً، ألبرتو مانويل، ترجمة: ثائر ديب، مجلّة الآداب الأجنبيّة، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد (98)، السّنة (24)، دمشق1999، ص169.

المراجع:

1- *الأدب المقارن*، عبده عبّود، منشورات جامعة حمص، حمص، 1988.

2- *التّأويل ولغة التّرجمة (نحو نظريّة لغويّة لدراسة الإبداع والإتباع في التّرجمة)*، عمر شيخ الشّباب، دار الهجرة، بيروت، 1998.

3- *التّرجمة في العصر العباسيّ*، مريم سلامة كار، ترجمة: نجيب غزّاوي، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1998.

4-*التّرجمة في خدمة الثّقافة الجماهيريّة* ، سالم العيسى، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999.

5- *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، عبد القاهر الجرجانيّ، دار المعرفة، بيروت.

6-*الصّحاح في اللّغة والعلوم، تجديد صحاح الجوهريّ ، والمصطلحات العلميّة والفنيّة للمجامع والجامعات* العربيّة، تقديم : الشّيخ عبد اللّه العلايليّ، الطّبعة الأولى، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربيّة، بيروت، 1974.

7-*عبقريّة اللّغة العربيّة*، عمر فروخ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1981.

8-*علم التّرجمة النّظريّ* ، أسعد مظفر الدّين حكيم، الطّبعة الأولى، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، 1989.

9-*علم الدّلالة العربيّ* ، أحمد مختار عمر، الطّبعة الأولى، دار العروبة، 1982.

10- *فنّ التّرجمة*، عبد السّلام بن عبد العالي، الطّبعة الأولى، دار الطّليعة، بيروت، 2001.

11- *فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ*، محمّد عبد الغني حسن، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

12-*الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ* ، شوقي ضيف، الطّبعة التّاسعة، دار المعارف، القاهرة، 1976.

13- *في الأدب العربيّ الحديث*، عمر الدّسوقيّ، الطّبعة السّابعة، الجزء الأوّل، دار الفكر العربيّ.

14-*القاموس المحيط*، الفيروز آبادي، ضبط وتوثيق يوسف الشّيخ محمّد البقاعيّ، دار الفكر،2005.

15- *لسان العرب*، ابن منظور، المجلّد الأوّل، أعاد بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة يوسف خيّاط ونديم مرعشليّ، دار لسان العرب، بيروت.

16-*المعجم الوسيط*، مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة، الجزء الأوّل، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزّيّات، وحامد عبد القادر، ومحمّد علي النّجّار، وأشرف على طبعه: عبد السّلام هارون.

17-*من كتاب (الحيوان) للجاحظ*، عبد المعين الملوحيّ،و نعيم الحمصيّ، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1979.

18- *نظريّة لغويّة في التّرجمة*، ، ج. س كاتفورد ، الطّبعة الأولى، ترجمة خليفة العزابي، ومحيي الدّين حميدي، المراجعة اللّغويّة عيسى العاكوب، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، 1991.

المجلّات والدّوريّات

1- *التّرجمة الأدبيّة، كيف وإلى أين؟* صلاح حاتم، مجلّة المعرفة، وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، العدد (361).

2- *التّرجمة والإنسان*، أنطون المقدسيّ، مجلّة الموقف الأدبيّ ، اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، العدد (229_ 233)، السّنة 20، 1990.

3-*التّرجمة والنّقل في العصر العبّاسيّ*، سالم جبارة، مجلّة الموقف الأدبيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد (202_ 203)، السّنة 17، دمشق، 1988.

4-*حول المشروع القوميّ للتّرجمة*، جابر عصفور، مجلّة العربيّ، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد(494)، 2000.

5- *المترجم بوصفه قارئاً*، ، ألبرتو مانويل، ترجمة: ثائر ديب، مجلّة الآداب الأجنبيّة، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد(98)، السّنة24، ، دمشق، 1999.

6-*مفهوم التّرجمة اليوم*، رنا رداوي، مجلّة المعرفة، وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة ،العدد(427)، 1999.